البطريرك يوسف أودو (ت ١٨٧٨)
ووصيّته الأخيرة

الأب بطرس حدّاد[٥]

مقدّمة

مار يوسف السادس أودو (١٨٤٧-١٨٧٨) واحد من أشهر بطاركة الكنيسة الكلدانيّة في العصر الحديث، أدار الطائفة بتفانٍ، ودافع بضراوة عن الكرامة البطريركيّة، وعن خصوصيّات الكنائس الشرقيّة في مراسلاته وفي جلسات المجمع الڤاتيكانيّ الأوّل. توفّي برائحة القداسة، ولذلك فإنّ شعبنا يذكره بإجلال، وقبره يزار.

نصّ الوصيّة

وجدته في الخزانة البطريركيّة الكلدانيّة ببغداد. الخطّ جيّد، وهو ليس خطّ البطريرك لاطّلاعنا على رسائل أخرى عديدة بخطّه، ولا يوجد في الوثيقة توقيع البطريرك ولا ختمه.

النصّ يدلّ على أنّ ذهن الرجل الشيخ لا يزال متوقّدًا، فهو يذكر الديون بتفاصيلها: ما له وما عليه، ويذكر الأثمان، والهبات، لا بل يتطرّق إلى قبره كيف يكون وما هي أبعاده!

والأهمّ من هذه الأمور المادّيّة أنّنا نستشفّ من خلال النصّ روحيّة

(٥) رئيس الديوان البطريركيّ الكلدانيّ - بغداد.

صاحبه: إنّه الراهب البسيط الذي يستعدّ للقاء ربّه، فيكرّر: «أخطأت» و«غلطت» و«أنا تائب»، لكنّه واثق من «نعمة الله» فقد عمل في كرم الربّ بكلّ جدّ وتحمّل ثقل النهار وحرّه (متّى ٢٠ : ١٢) وحاول أن يزرع الزرع الجيّد (متّى ١٣ : ٢٤) من خلال التعليم وبناء الكنائس والأديرة؛ وهو إن كان قد تصارع بكلّ ما في الكلمة من معنى مع الدوائر الرومانيّة، فإنّه أعلن دائمًا خضوعه للحبر الرومانيّ، أي إنّه ميّز - من حيث يدري أو لا يدري - بين الإيمان، أي: الخضوع لنائب المسيح، وبين القوانين والعادات، وله في ذلك التميز كلّ الحقّ؛ ولكن أين نحن من عتميّة القرن التاسع عشر؟

إنّ مسألة التبر والإلحاح على شكله وأبعاده تشير إلى رغبة عند البطريرك في الظهور، وهذا أمر لا يليق به كراهب وكرجل من المفترض أن يعطي مثالًا للتواضع والتجرّد، وأرى في ذلك ضعفًا بشريًّا ورغبة كامنة في الخلود، ولعلّي أجد عذرًا له أنّه، كراهب، عاش في دير الربّان هرمزد في مطلع حياته فشاهد هناك أنصاب البطاركة السالفين فرأى من الواجب أن يكون للجيل الجديد من البطاركة الكاثوليك آثارهم التي يعتزّ بها أبناؤهم!...

نصّ الوصيّة

[وجه الورقة]

«أيّها السامعون الحاضرون: إشهدوا بأنّني قد أخطأت في مدّة حياتي، إلاّ أنّني بنعمة الله عملت خيرًا لأجل انتشار الكنيسة المقدّسة الكاثوليكيّة، وتعمير الكنائس[1] وقوانيغ[2] للبطركخانة[3]؛ وترجيع الهراطقة إلى

(١) جدّد بيعة مار بيثون بالموصل (١٨٥٠)، ووسّع بيعة مسكته الكاتدرائيّة (١٨٥١) وكنيسة باطايا (١٨٥٤) وباقوفا، وتلكيف (١٨٥٥) وبيعة مار يوحنان قرب مار أشميا بالموصل (١٨٥٥). أنظر مقالتنا: «الكتابات السريانيّة في كنائس الموصل»، مجلّة مجمع اللغة السريانيّة، (١٩٧٦) الأرقام ١٠، ٥٣، ٦، ١٥٦.

(٢) القوناغ (تركيّة): منزل القوافل، مسكن، وسمّي بيت البطريرك بالقوناغ لأنّه مفتوح لكلّ أبناء الطائفة.

(٣) وسّع الدار البطريركيّة في الموصل، وشيّد دارًا في ألقوش وأخرى في تلكيف.

الإيمان الكاثوليكيّ المقدّس[٤].

وإن كان قد صدر منّي ضرر[٥] بحقّ أحدٍ، فذلك لم يكن قصدًا، أو لغاية رديّة.

وأقرّ معترفًا بأنّني أريد أن أموت بالإيمان الكاثوليكيّ متّحدًا مع الكرسيّ الرسوليّ وطائعًا إلى الحبر الأعظم الرومانيّ. ونظرًا لمقاومتي الكرسيّ الرسوليّ فلم يكن ذلك بنيّة العصيان لا بل رغبة بخير طائفتي؛ وإذ إنّني غلطت فيما أنا الآن تائب عن ذلك الغلط وأطلب الغفران.

ثمّ أحدي بركتي إلى جميع المؤمنين أولاد طائفتي مستمدًا من يسوع ومريم والقدّيسين أن يحفظوهم ثابتين بالإيمان مصانين نفسًا وجسمًا ومباركين بجميع أمورهم الزمنيّة والروحيّة.

أمّا الرهبان والقسّان العاصين[٦]، ولو أنّهم مستحقّين كلّ صرامة إلاّ أنّني أرغب أن يعاملوا بالرأفة والرحمة وبسلامة الربّ.

فليكن معلوم ثمّ، ولئن كان البطريرك سالفي[٧] لم يورثني شيئًا بتّة، إلاّ أنّني أوصي بأن تكون تركتي التي هي ملك شخصي الخصوصيّ عائدة إلى البطريرك الكاثوليكيّ المنتخب من مطارين الطائفة الكلدانيّة لا من العوام[٨] ويكون مثبتًا من الكرسيّ الرسوليّ الذي سيقوم بعدي. والجبّة

---

(٤) يرجع إليه الفضل في كسب معظم جماعة أبرشيتي العمادية وعقدة إلى الإيمان الكاثوليكيّ منذ عهد أسقفيته كما ورد في يومياته المخطوطة ورسائله المتعدّدة.

(٥) في الأصل: ضررًا.

(٦) إنّهم أولئك الذين رفضوا تعليمات الكرسيّ الرسوليّ الواردة في رسالة البابا «لمّا كان التهذيب الكنسيّ» ٣١ آب ١٨٦٩ إذ اعتبروها تعدّ من سلطة البطريرك وتمسّ كرامة الطائفة، وعرفوا محليًّا باسم «الياسي» وكان معظمهم في تلكيف والموصل بدعمهم بعض الرهبان، وبقوا على موقفهم لا بل قويت شوكتهم بعد وفاة البطريرك وفي السنوات التالية إلى أن ارعووا وعادوا إلى أحضان أمّهم الكنيسة المقدّسة سنة ١٨٨٩.

(٧) نيقولاوس زيعا أوزيّا، استقال سنة ١٨٤٦ وتوفّي في سلماس بإيران سنة ١٨٥٥.

(٨) إشارة إلى خضوعه الكلّيّ لتعليمات الرسالة البابويّة «لما كان التهذيب الكنسيّ» التي تمنع تدخّل العوامّ في انتخاب البطريرك.

الحوت والأربون[٩] الجدد اللذين وردا في هذه الأيام من بغداد، مع أعضية الكأس الاثنين المقدّسين[١٠] يكونوا أيضًا للبطريرك المسمى إليه بشرط أنّه يقدّس عن روحي ثلاثين قدّاسًا، وإن لم يقبلهم بهذا الشرط يعطوا إلى السيّد مطران توما[١١] بالشرط المذكور عينه. ثمّ زنجيل الذهب المكلّف بمبلغ ستّة عشر ليرة الذي تشوفونه[١٢] الآن بيدي، هو شغل سلامبول[١٣]، فهذا أيضًا يكون للبطريرك الذي يقوم بعدي[١٤]، بشرط أنّه يقدّس عشرين قدّاسًا عن روحي. ثمّ الخاتم الذي فيه صورة سيّدنا البابا الذي أسلمه كما ترون بيد الأب البادري الرئيس[١٥] القائم هنا يكون علامة الطاعة للحبر الأعظم والاتّحاد مع الكرسيّ الرسوليّ المقدّس، بشرط أنّه يرجع إلى البطريرك الذي يقوم بعدي مؤيّدًا من الحبر الأعظم الرومانيّ.

ثمّ أوصي بأن يعطى إلى سائر الخدّام لكلّ واحد خمسين غرشًا علاوة على أجرة شهريّتهم المعتادة لقاء أتعابهم الزائدة في هذا الشهر.

[خلف الورقة] ثمّ أوصي أن يعطى إلى السيّد مطران توما خمسماية غرشًا. وإلى أخي مرخو ستّماية غرشًا وذلك بما أنّه فقير الحال وله معي أتعاب وليس من سبب أنّه أخي.

أطلب من ذمّة الرهبان دين قرضة خمسة عشر ليرة فرنساويّة ومائة وعشرين غرشًا...

---

(٩) الأزبون لبس الرجال الخارجيّ الذي يلفّ الجسم، والجبّة تلبس فوق الأزبون وهي فضفاضة ومنتوحة من الأمام ولها أردان وأكمام عريضة.

(١٠) أي المطرّزة بخيوط من الفضّة أو الذهب.

(١١) المطران توما - روكوس خنجرخان، من منكيش، دخل الرهبنة الكلدانيّة، وأسيم كاهنًا في ١٨٤٨/١٢/٥ ثمّ أسقفًا سنة ١٨٦٠ وذهب إلى الملبار (الهند) ثمّ عاد إلى العراق وتوفّي سنة ١٨٨٥.

(١٢) أي ترونه، تشاهدونه.

(١٣) وهي إسطنبول أو الآستانة قاعدة الدولة العثمانيّة.

(١٤) قام بعده مار إيليّا ١٢ عبو اليونان (١٨٧٨-١٨٩٤).

(١٥) وهو الأب بطرس دوفال الدومنيكيّ، خدم في الموصل (٧٣-١٨٩٥) ثمّ عيّن قاصدًا رسوليًّا في سوريا وتوفّي سنة ١٩٠٤.

ثمّ أقرّ بأنّه: لمّا رسمت المطران توما كان تعبّدت له بأن يعيش من نفقات البطريركيّة، كما قد تمّ ذلك إلى الآن حيث ما كان له أبرشيّة تقوم بمعيشته، فأوصي أن يوفي هذا التعبّد من بعدي أيضًا[١٦].

الديون التي عليّ بموجب سندات إلى الخواجه[١٧] نعمة الله يوسفاني والخواجه إسطيفان عجاج، وبلا سند يطلبني الخواجه داؤد نسو ألف وخمسمائة غرش، فبذه جميعها توفي من الإسعاف الذي عيّنه لي الكرسيّ الرسوليّ وقدره خمسة آلاف فرنك الذي وصل منه النصف وباقي النصف.

ثمّ أوصي أن يعمل عن روحي في كلّ كنيسة جنّازين، وكلّ قسّيس لازم أن يقدّس عن روحي قدّاسين، وآمر جميع المطارين والقسوس والشمامسة أن يسلكوا بكلّ أمنية واستقامة مع الكرسيّ الرسوليّ. وأطلب من شعبي أن يكون ثابتًا في طريق الحقّ وطائعًا للرؤساء على الدوام.

ثمّ أريد أن أدفن في كنيسة مسكنتا[١٨] بين باب الذي تدخل منه النساء وبين الباب الذي تدخل منه الرجال بطرف الحوش الكبير والهيكل، وإن كان يصير سجس من إدفاني هناك فيلزم أن أدفن في كنيسة الطاهرة[١٩] أو في دير السيّدة[٢٠].

ولازم يكون القبر معمول كلّه من فرشن مرمر طوله أربعة عشر شبرًا، وعرضه اثني عشر شبرًا وعلوّه أزود من قامة إنسان، ويوضع فوق القبر

---

(١٦) كتب مار يوسف أودو في يومياته: «في ٢٩ أيلول ١٨٦٠ رسمنا قسّ بركوس بن شمعون من قرية منكيش أسقفًا على براث ميشان لكن بشرط يمضي لميلبار ويأتينا بأخبارها، ولمّا يرجع إن لم يقبل يتخذ له أبرشيّة ما فارغة، يمكث عندنا تحت يدنا وذلك برضا كلّ مطارين الطائفة، وقد دعينا اسمه مار توما».

(١٧) الخواجة (تركيّة) تعني السيّد ويستعملها نصارى العراق.

(١٨) هي كاتدرائيّة الكلدان في الموصل وتقع قرب الدار البطريركيّة.

(١٩) كنيسة أثريّة في الموصل تقع على دجلة.

(٢٠) دير الرهبان الكلدان بُنيَ على عهد البطريرك أودو سنة ١٨٥٨، وفعلًا دفن في هذا الدير.

الإنجيل المقدّس وعلامة الصليب لأجل الزيارة[٢١].

٢٣ آذار ١٨٧٨ وذلك صباحًا في الساعة الرابعة[٢٢] من النيار المذكور[٢٣]

الأب ليفي[٢٤] شهد بما فيه المطران توما خجرخان
القسّ أنطون غالو (ختم)[٢٥] (ختم)
قسّ يوسف سطفانوس يوسف كبية القوش (ختم) الأب دوفال
(ختم) داؤد تمّو (ختم) القسّ يعقوب نعمو

---

(٢١) ضريحه جميل وعليه كتابة بالكلدانيّة والعربيّة مع اسمه باللاتينيّة، أنظر مقالنا: «الكتابات السريانيّة في ديارات المشارقة»، مجلّة مجمع اللغة السريانيّة ٣ (١٩٧٧) رقم الكتابة ١٦١، ولا يزال على الضريح الإنجيل المقدّس والصليب المكرّم لزيارة المؤمنين.

(٢٢) أي الساعة العاشرة صباحًا.

(٢٣) التاريخ والجملة الأخيرة بخطّ مختلف عن النصّ.

(٢٤) من الآباء الدومنيكان، فرنسيّ اللسان، يهوديّ المولد، اهتدى إلى المسيحيّة وانتمى إلى الرهبنة، وقدم إلى العراق سنة ١٨٦١ ويظهر من المراسلات أنّه كسب ثقة البطريرك أودو.

(٢٥) مكتوب على الختم: القسّ الفونسوس غالو، وقد رسم كاهنًا في بيعة الطاهرة بالموصل في ١٥ آب ١٨٤٣ واسم أبيه يوسف (عن دفتر حسابات أوقاف سكته بالموصل).